نحن والخارجون من تحت عباءة التيار الصحوي

الأمير عبد الله يحذر الجاهلين بأنهم شركاء

أهداف التفجيرات أمن البلد وليس الوجود الأمريكي

■ وجّه صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني مساء الثلاثاء ١٣/مايو كلمة الى المواطنين إثر التفجيرات التي حدثت الاثنين١٢/مايو/٢٠٠٣م في الرياض وقد كانت وافية لتوضيح سياسة المملكة تجاه الارهاب أورد بعضاً من نقاطها للانطلاق منها الى مقالة اليوم:

يقول سموه (....إن هذه الأحداث الأليمة يجب أن تنبه الغافلين وتعيد صواب المخدوعين وتضع الأمور في نصابها الصحيح، فلا مكان للإرهاب بل الردع الحاسم له ولكل فكر يغذيه ولكل رأي يتعاطف معه، وإننا نحذر بصفة خاصة كل من يحاول أن يجد لهذه الجرائم الشنعاء تبريراً من الدين الحنيف، ونقول إن كل من يفعل هذا يصبح شريكاً حقيقياً للقتلة، ويجب أن يواجه المصير الذي يواجهونه..).

في الخطاب إيضاح هام لدحض أي مبرر للتفجيرات ورفض قوي للاجتهاد والتأويل أمام نصوص في الدين صريحة تدين المتسببين وفيه إدانة واضحة للشركاء الذين يروجون للفكر الهدام.

مدخل:

اعترف أني أمام يوم ١٢/ مايو كنت أما ثكلى فقدت ابنها بفعل فاعل ففي اللحظة الأولى تجاوز الحدث بعمقه كل شيء سوى إحساس الام في بان لي طفلاً أو شاباً يقطن في المركز أو مر بجواره ومات فقط لأنه كان هناك!

كانت الرياض يومها حزينة وكنا جميعا مكلومين لان هذا الوطن لا يستحق تلطيخه من قبل من أعطاهم من خيره ولم يبخل.

كنا مكلومين لاننا تأكدنا بان الفاعل جزء منا لن نستطيع إلا أن نستأصله لأنه يهدد نفسه قبل أن يهدد الآخرين.

لكن الحزن لا يجدي والشجب والاستنكار لا يكفي والتبرؤ من أولاد أو اخوة أو أقرباء لنا تورطوا في فكر مشوش لا يحل أبدا مشكلة قائمة تحتاج منا ان نتكاتف لفهم نشوئها وبدء انتشارها ووصولها الى هذه المرحلة الخطرة.

نظرة تاريخية:

بدأ الإرهاب كما ذكرت دراسة نشرتها أكاديمية نايف للعلوم الأمنية وأعدها د. محمد عيد بعنوان «الأساليب التي يستخدمها الإرهابيون وطرق التصدي لها ومكافحتها» يلفت نظر العالم اعتبارا من عام ١٩٧٢م ووصل عدد ضحايا الحوادث الارهابية الى عدد قليل عام ١٩٩١م ثم بدأ في التصاعد اعتبارا من عام ١٩٩٢م حتى وصل إلى أعلى حد في عام ١٩٩٥م ثم بدأ في الهبوط ووصل إلى أدنى حد في ١٩٩٨م وما زال الاتجاه مستمرا في آسيا وأفريقيا والشرق الأوسط إلى ارتكاب الحوادث الأكثر دموية.

وقد احتلت حوادث التفجير المرتبة الأولى عام ١٩٩٧م حيث بلغ عددها ١٧٥حادثا تمثل ٧,٥٧٪ من العدد الكلي لحوادث الإرهاب).

وفي تاريخنا الإسلامي يمكن لفئة الخوارج أن تكون هي رأس الفتنة حيث اتفقت كل المذاهب على أن الأعمال المسلحة التي قام بها الخوارج تندرج تحت مسمى باب الفتنة، لاستباحتهم دماء المسلمين بما أسموه جهادا.

أما لدينا فما من شك أن حادثة الحرم ١٤٠٠هـ كانت أول جريمة للإرهاب على بيت الله الحرام.

في الفترة ما بين تلك الحادثة والى الآن خرج كما يبدو من تحت عباءة التيار الصحوي الجماعات المتشددة والمتطرفة.

هذه الجماعات ليست غريبة عنا بل هم أولادنا وإخواننا والمسألة ابتدأت بأشرطة كاسيت ترهيبية وكتيبات فيها من الغلو والتشدد ما يرهب فكر الشباب خاصة وان كانوا محبطين وبدون هدف.

فلسفة الجهاد:-

يقول الدكتور خالص جلبي في مقالته «الخوارج وزمن الفتن» (إن الجهاد ليس في يد فرد أو جماعة أو تنظيم أو حزب شعر أنه امتلك الكفاية من الرجال والتنظيم أن يضع يده على الآلة المسلحة فيقتل تحت دعوى الجهاد. بل هو آلية مرتبطة بقيام دولة راشدة وليست أية دولة، وهذا ينبني عليه أن الجهاد ليس وظيفة أفراد مهما كانوا صالحين أو واعين بل هي وظيفة دولة راشدة. وليس كل من ادعى الجهاد أصبح مجاهداً وأصبح عمله مشروعاً).

القضية أن ما زال هناك من ينظر إلى «أسامة بن لادن» كرمز بطولي ويصرح بان قتل الأمريكان عمل يجزى به من المولى أجرا لكن بالقراءة العميقة لآلاف الذين قتلوا في أفغانستان مثلا يجدر بنا أن نتساءل ما هو مفهوم الجهاد لديهم وكيف اتجهوا إلى قتال الروس في أفغانستان، ما الأسباب الدافعة؟

هنا نستذكر ما ورد في صحيح البخاري أن رجلا كان يركب فرسه ويضرب الكفار ضربا بالسيف حتى صارت انظار الناس اليه فاخبر النبي انه في النار فشق الامر على الصحابة وسكت بعضهم ولربما راى النبي على وجوههم فلم يزد فبينما هم كذلك إذ جاءهم الخبر انه قد قتل نفسه فقال النبي الله اكبر أي تصديقا لله ورسوله.

إن الشباب الذي يرمي بمستقبله إلى طريق يحسبه جهادا فيترك دراسته أو عمله ويهجر أسرته لا يعتبر في مقاييس الصحة النفسية سويا بل هو محبط من ظروفه الاجتماعية أو التعليمية ومهيأ لتقبل فكرة إنهاء الحياة بشكل بطولي تستتبعه الشهادة والفوز بنعيم الشهداء حسب ظنه الخاطئ.

جريمة أم إرهاب:

يعود استعمال اصل كلمة إرهاب كمصطلح الى فترة الثورة الفرنسية وترتبط بما يسمى حكم الارهاب والذي رأى فيه «روبسبير» ورفاقه عنوانا للفضيلة قائلا امام لجنة الصحة العامة التابعة لمحكمة الرهبة «يجب ان يكون الهدف الاول لسياستنا هو ارشاد الشعب بالمنطق واعداء الشعب بالإرهاب».

ويعرف الإرهاب في قاموس اكسفورد بأنه «استخدام الرعب خصوصا لتحقيق أغراض سياسية». ويرجع الربط بين الإرهاب والسياسة إلى المراحل الأولى لظهور مفهوم الإرهاب لكن استخدام الإرهاب لتحقيق أغراض غير سياسية يمكن أن يطلق عليه إجرام كجرائم العنف أو الجرائم المنظمة وهناك أنشطة الإرهابية لها طابع إجرامي لا هدف يتحقق من ورائها سوى بث الرعب في نفوس المواطنين وإلحاق الأضرار المادية بهم لكنها في الأصل تستهدف شل مقاومة الدولة في مجال مراقبة أو مكافحة الارهاب وتفجيرات الرياض ١٢/مايو حملت اكثر من هدف سواء ما تعلق بالسياسة كضرب أمن الدولة أو ما تعلق بترويع الناس وحمل نهج العنف البغيض.

أين الجمهور المستهدف؟

عقدت ندوة «ظاهرة التطرف والغلو في المجتمع الإسلامي» ١٩٩٨م ضمن فعاليات مهرجان الجنادرية وربما عقد سواها في فعاليات ثقافية لدينا ولكن السؤال من الجمهور؟

هل حضر الشباب الذي يمكننا أن نطلق عليه (متطرف) ليتحاور معه العلماء والمفكرين الإسلاميين؟

إن مشكلتنا تكمن في انفصال لغة الحوار بيننا وبين شبابنا الذين اتجهوا إلى التشدد والتطرف، والملاحظ للقاءات التي أجرتها الصحف مع أهالي المتطرفين الـ ١٩ عشر الذين نشرت الصحف صورهم في يوم الأحد ٥/ مايو /٢٠٠٣م فإنهم يتحدثون عن أبنائهم بأسى ويتفقون أن هناك مرحلة قبل سفرهم إلى أفغانستان تجلت في انعزالهم وانكبابهم على حضور الندوات والمحاضرات..

والسؤال أين دور الأسرة؟

ولماذا يتم السكوت عن الشباب الذين يبدأون ممارسة التطرف في أسرهم قبل أن يتخذون القرار بالسفر إلى أفغانستان لتنقطع أخبارهم؟

في منازلنا الآن شباب وفتيات بالفعل منفصلون عن الأسرة وينظرون إليها في ممارساتها وسلوكياتها نظرة الشجب والاستنكار.... الشاب يعبر بالثورة والفتاة بالامتعاض.

هناك شباب يمنعون أهليهم من استعمال الأطباق الفضائية ويرفضون اخذ المال من آبائهم لانهم يتعاملون مع البنوك التي هي ربوية من وجهة نظرهم ولانهم يستمعون الى الاغاني مثلا أو لأن الأم تضع عباءتها على الكتف وليس على الرأس والأمثلة حولنا كثيرة..

من لهؤلاء الذين يتشكل فكرهم بأفكار تضخم سلوكيات يمكن التحاور حولها بدلا من تعليقها على مشجب التحريم بهكذا أسلوب؟

انفصال الشباب عن الأسرة خطير جداً وسلبية الأسرة وتهاونها يعطي الفرصة بشكل اكبر إلى التغرير بالشباب وزرع الفكر التكفيري في رؤوسهم.

مسؤولية

تكتبها - ناهد باشطح

«من لا يعي ما يفعل يقر أخطأه في عقابه»

- مثل عالمي -

ثقافة العنف

في الندوة أنفة الذكر حدد العلماء أسباب التطرف كالآتي:

١- التطرف هو نتيجة لأفكار وقناعات منحرفة مردها إلى التفسير الخاطئ للنصوص الدينية.

٢- شعور الإنسان بالظلم والاضطهاد وعدم الأمان مما يدفع الفرد الى الجنوح نحو التطرف.

٣- الوقوف إلى بعض ظواهر النصوص دون الرجوع إلى غيرها مثل الخوارج الذين اخذوا بظاهر النص في تكفير مرتكب الذنب من أسباب التطرف.

٤- الضغط النفسي إزاء بعض ما يظهر في المجتمعات من انتهاك لأخلاق الإسلام.

٥- انخراط العاطلين والعاجزين عن الكسب في الجماعات المتسترة باسم الدين واستغلال عضويتهم فيها لارتكاب جرائم الاعتداء على الأشخاص والأموال.

إن وجود التيارات المختلفة ليس أمرا شاذا بل طبيعيا في نسق تطور المجتمعات لكن عندما يتجاوز التيار حده ليكون حادا تكمن الخطورة.

وهناك تيارات عدة في المجتمعات مثل التيار القومي/التيار الاقتصادي (تيار الحداثة) تيار الصحوة الدينية، والتيار الأخير مثلاً هو الذي خرج من عباءته التيار التكفيري الذي يروج لآراء الخوارج ومن أخطرها تيار ت التكفير والهجرة التي تكفر الحكام والعلماء.

هذا التيار مزروع في كل بقاع الأرض يغذيه انتشار ثقافة العنف ورفض ثقافة التسامح والحوار.

هل نقف مع أنفسنا لنتساءل هل علمت الأسرة والمدرسة والمسجد لدينا أولادنا ثقافة التسامح؟

تلك المؤسسات الهامة في المجتمع كيف تشكلت؟ والى أين وصل تأثيرها على المجتمع؟ وما هي خطورة أن تتوجه بسلبية تجاه مسئولياتها؟

ما وراء الأكمة

يخطئ من يصدق الادعاءات القائلة بان سبب التفجيرات الحالية وجود القوات الأمريكية.

خيوط اللعبة البائسة لم تبدأ عند أمريكا بل بدأت هنا بدءاً من الفتاوى المؤيدة لفكر أسامة بن لادن والمؤيدة للفكر الجهادي المتشدد ومرورا بفتاوى تبرر أحداث ١١ سبتمبر وانتهاءً ببيان حديث ظهر بعدما نشرت الصحف صور المطلوبين الـ ١٩ حيث أصدر أصحاب الجهاد التكفيري بياناً يدافعون فيه عنهم وأنكروا أن يكون المستهدف بهذه الأعمال هم المواطنون،ودعوا إلى عدم التبليغ عنهم.

لقد جاء بيان هيئة كبار العلماء الذي نشر في صحفنا واضحا بعد انعقاد جلسته الاستثنائية في مدينة الرياض يوم الأربعاء ١٤٢٤/٣/١٣هـ بتحريم قتل النفس المعصومة بغير حق، ومن النقاط الهامة (إن من الأنفس المعصومة في الإسلام. أنفس المعاهدين وأهل الذمة والمستأمنين ، وان من أدخله ولي الأمر المسلم بعقد أمان وعهد فان نفسه وماله معصوم لا يجوز التعرض له ومن قتله فانه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لم يرح رائحة الجنة ومعلوم أن أهل الإسلام ذمتهم واحدة وأن من دخل بعقد أمان أو بعهد من ولي الامر لمصلحة رأها فلا يجوز التعرض له ولا الاعتداء لا على نفسه ولا ماله وما قام به من نفذوا هذه العمليات من قتل أنفسهم بتفجيرها فهو داخل في عموم قول النبي صلى الله عليه وسلم من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة).

إن بيان هيئة كبار العلماء يدحض ما يتحدث به البعض من جواز قتل الأمريكان وان منفذي العملية شهداء وليس بعد البيان تعليق.

ما الحل؟:

إن مواجهة الإرهاب الديني الذي ظهر في تفجيرات ١٢/مايو /٢٠٠٣م وقبلها في تفجيرات العليا١٩٩٦م وقبلها حادثة الحرم١٤٠٠هـ يحتاج الى اعادة تشكيل لدور المؤسسات الاجتماعية التربوية لدينا «المدرسة والبيت والمسجد»، لا ينفعنا احتواء أي فكر متشدد لأنه يحمل العنف سلاحا لنشر أفكاره نحتاج إلى تغيير الفكر السائد في جنبات مجتمعنا ذلك الفكر الموهوم بأنه فكر اسلامي وهو اقرب الى نواة التطرف ولا بد من وقفة صارمة ضد بعض طلبة العلم الشرعي الذين يبثون عبر المساجد والأشرطة والكتيبات بذور نهج الترهيب والتكفير بدلا من نشر مبادئ الاسلام التي اوصت بالتسامح وليس التشدد وعلينا بالفعل أن نتحرك اجتماعيا لاحتواء شبابنا الذين يبدأون في الانعزال عن المجتمع ورؤيته بمنظار الظالم أو الفاسق؟ لا أن ننتظر حتى ينفصلوا عن المجتمع وحبذا تشكيل لجنة اجتماعية دينية في وزارت كالتربية والتعليم مهمتها توجيه شبابنا وتصحيح مفاهيمهم ومعتقداتهم وفق الاتجاه الإسلامي الصحيح.

من المهم أن نقضي على الإرهابيين وان نحتوي شباب بيننا لديهم بذور كامنة لثقافة العنف قد تجد لها طريقا إلى دمار المجتمع أن لم نصمد لها.